قراءة في قصة (زمن للحرب) في مجموعة (رجل القش) لسمير عبدالفتاح

ثقافة الزمن

زمن للحرب قصة للقاص الروائي / سمير عبدالفتاح قد برع في قصصه وفي هذه القصة يعرض ويجعل الساحة لفظاً ومعنى للزمن رامياً ومتجها نحو المعنى الخلفُ الظاهر، معطياً وموسعاً دلالة الزمن، ولأن عنوان القصة" زمن للحرب" كان لابد من أن يثبت وجود ذلك الزمن وبشكل ملحوظ ،فلا ترى بعض سطور إلا وقد قام على قائمتها ذكر الزمن، وقد تنوعت ألفاظ الزمن في هذه القصة مثل: الليل، المساء، وما دل على ذلك إلى ما يقارب بضع وعشرين مرة" الآن " أيضاً" بضع عشرة مرة، أما لفظة لحظة ولحظات فبعض مرات وبضع عشرة مرة للدقائق والثواني..

عائشة عبدالله المزيجي - جامعة ذمار

اما الكلمات الدالة على المستقبل مثل :" أبداً، غداً" فثلاث مرات ذكرت، أما الإشارة إلى الزمن بالكتابة دون تصريح فثلاث مرات تقريباً، وكلمة الفجر، الصباح فبضع مرات تقريباً.

وقد جاء زمن الليل زمناً طبيعياً بعدة صيغ وألفاظ: الظلام، المساء، السماء المظلمة تأمل:

(نمت عند العاشرة وخمسه وأربعين دقيقة مساءً) ص7، (ما زالت الثامنة وأربع وخمسين دقيقة مساءً ما زال الوقت مبكراً للنوم) ص42.

كما جاء لزمن لون للحدث تأمل (دقات الساعة تعلن اقتراب الموت وعقاربها تسابق الشمس نحو الغروب) ص 23.

(ألف دبابة مرت خلال الليلة الماضية) ص34، (تفكر بكيفية إخفاء انهيارك في الليلة الماضية) ص50، (الساعة السابعة مساءً تتفقد خلاياك إحداها هربت فتركتك تصارع الخوف) ص25 (تقلب بصرك في أرجاء غرفتك لتختار المكان المناسب لقضاء ليلة مفزعة) ص11، (القذائف التي أحالت النهار إلى ليل) ص49، ليكون الزمن الطبيعي زمناً نفسياً وانعكاساً لنفسية الشخصية ولوناً للحدث، ولأن الزمن صار نفسياً فقد سوغ الخيال لليل أن يظهر مجسماً مجسداً تأمل : (تنظر في ساعتك لم تمر سوى عشرين دقيقة بعد الثامنة مساءً والليل ما زال يزحف ببطء) ص39، (تربط الليل بحبل وتحاول سحبه للغروب وعندما تنجح في مهمتك المستحيلة تستيقظ لترى أن محاولاتك أوجدت كابوساً جديداً)31.

فالزمن عندما تحول الى نفسي أصبح مرناً يشكل تبعاً لنفسية الشخصية وصياغة القاص، وقد جاء تنوع وتعدد ألفاظ الزمن ليل ومساء وظلام والاهتمام بالصياغة اتجاها نحو التنفيس عما بداخل الشخصية وإشار للحدث ويدل هذا الاتجاه على اهتمام القاص بالشخصية وتفصيل الحدث ووعي الكاتب بأهمية الزمن والقدرة على نسجه.

ومن الألفاظ الدالة على الزمن لفظة " الأن " وهي تجعل الشخصية مزامنة للحدث مستعرضة تفاصيله خاصة وأن الشخصية كانت مخاطبة من قبل الراوي طوال القصة ومع الاستعراض تجعل " الأن " الشخصية مواجهة لنتائج الحدث الآنية، أيضاً تنبه "الأن " الشخصية ببقية الزمن التالي والتخطيط له.

كما نستوحي كره الشخصية للزمن " الآن " لأنها توقيت محدد لحدث لا تمهل فيه ، ولضيق زمن " الآن " وتحديده تستوحي قلق الشخصية سواء كان القائم بالحدث الشخصية أو كانت الشخصية متلقية للحدث متأثرة به تأمل " تميز الآن أن الأصوات ..أصوات القذائف بعيدة بما يكفي لتشعر بالأمان لعدة لحظات) ص12، (الساعة الآن الثانية صباحاً..وآلاف الثواني تنتظر دورها لإفزاعك) ص12، (تتسلل النافذة لعلك تدرك ما يحدث فتتواجه أنت والسكون ولم يخرجكما من المواجهة سوى أعيرة نارية مزقت السكون وتنتظر أن تمزقك أنت أيضاً ... تتراجع للخلف وأنت تفكر فيما سيحدث الآن) ص14، (ربما سيطيرسقف المنزل الآن أو بعد ثانية) ص32، (تخشى أن تموت قبل عمل شيء يبقيك على قيد الحياة على الأقل في عيون الناس) ص43.

أما الفجر والصباح فقد كان وجودهما في القصة ضد الليل من ناحية الكم والكيف ، إذ مع قلته نستوحي العتمة المسيطرة على دلالة القصة.

وقد وظف الكاتب الزمن المبهم " لحظة ولحظات " توظيفاً يخدم دلالة الحدث، فقد يمد الكاتب الحدث تحت ظل الزمن المبهم " لحظة ولحظات "، (تميز الآن أن الأصوات أصوات القذائف بعيدة بما يكفي لتشعر بالأمان لعدة لحظات)ص12،وقد يجد الكاتب في إخفاء الزمن إخفاء للون الحدث (تترك السرير لتحاول النوم خلف الباب تمهيداً لأي طارىء فكل لحظة قد تعني النجاة وتعني... ص12، كما أن عدم تحديد الزمن لا يعني عدم تحديد لون الحدث حين يتجه قصد الراوي نحو الاستمرار في ذاك الحدث (الأمان الهش ما زال يتسرب من بين يديك يختفي للحظة ليعود أقل مع اللحظات الأخرى) ص38.

تمويه مساحة الحدث المعتم تحت ظل " لحظة " والإيحاء باتساع الحدث مع جمع لحظة- لحظات تأمل (لكن صوتاً ما يجتاز الشارع بعيد منزلك الى أساسه ويؤكد لك أنك ما زلت على قيد الحياة وأن اللحظات السابقة كانت كابوساً) ص15، تختصر القصة الزمن لكره الشخصية حدثاً التصق بها (أحزنك عدم حفاظك على قسمك وتبرر ذلك بأنها لحظة ضعف) ص38.

من كل ما سبق الوقوف عليه يمكن القول أن القصة قد جعلت الزمن محورها زمناً طبيعياً ومن جهة أخرى كان الزمن تدعيماً للإشارة الى نوعية الحدث ،والقاص حين يذكر زمناً لا يحدد ولا يذكر خيطاً فاصلاً بين أن يكون زمناً لحدث وبين أن يكون هو الحدث ولون الحدث، ومن هنا يعلي السارد من مكانة الزمن ويوسع توظيفه ويرفعه عن النمطية ، ليكون الزمن إيقاعاً للأحداث ولونه وطوله وجهة نظر السارد وهو ينقل الأحدث الشخصية ويفسر أحياناً نتائجها وأسبابها أو وهو يعرض خارج الشخصية أو داخلها .

بريشة/ نبيل الكحصة

هامش:

رجل القش ، لعبة الذاكرة ، سمير عبدالفتاح ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، ط1 صنعاء، 2006م، 1427ه.

على مرافئ اليأس

فايز البخاري

شرعتُ أطوفُ في عينيكِ
أبحثُ
عن مرايا السّعد
علّ بها يكونُ النَايُ
مُرتسماً
يؤرجحُ في مخاتلةٍ
دماءَ الشوقِ
كي تنسابَ في وديانِ أوردتي
على ظمأ
ترقرقُ جدولاً
يعطي ترانيماً
لأنغام الهوى بكراً
تفتّحُ عند منبعها
خيوط الصبرِ
تعزفُها (شفاهُ الوقتِ) كي لا تمتطي
طَرَباً
نهودَ الرملِ
بل تمضي بلا عجلٍ
إلى أشذاءِ حقلِ الروحِ
حيثُ الماءُ والبارودُ قد وُلِدا.
فمهلاً
يا جراحَ الصمتِ
ها قد جئتها
أسعى إلى درجاتِ أنفاسٍ
تلبّدُ في غيومِ الهمسِ
أرجو أنْ أنالَ لدى حدائقها
فراشَ البينِ
حتى لا تدومَ على تباريحِ العظامِ
تشي برغبةِ نهدِها المطمورِ
في جسدٍ
توهجُهُ طيوفُ الأمسِ
تُشعلُ في مرافيهِ
ثقابَ اليأسِ
كي ينهدّ ذاكرةً
تعربدُ في ثناياها
رياحٌ
عارياتٌ
ليس في أثدائِها أملُ.

×××

فكوني السينَ
كوني النيلَ
كوني مثلما تبغين..
لي شفتانِ
تائهتانِ
في واحاتِ رمضاءِ البعادِ
سترشفانِ الكلّ
لن تبقي لكِ أثرا...
فهيمي في دروبِ الدمعِ
أو تيهي على الغَيماتِ
سوفَ يجيئك طيفي
ويأسرُ ما تبقّى منكِ
أغنيةً
يرددُها
بحقلِ الوهمِ
فاجعةً
تذوبُ لشجوها
أغصانُ منتجعي
وتصفرُ المسامعُ
وقتَ نشوتها
وتنسى نفسَها الدنيا
لتشهدَ أنّ ما قد كان
ليس سِوى (شذى جمرٍ)
تأرجحَ في خياشيمي.

×××

ختمتُ فهاكِ قافيتي
على أمواجِ عاصفتي
تُزفُ إليكِ منهيةً
دراما شهريار الهندِ
ترسمُ لوحةً عبقتْ
بريحِ الثلجِ
ممطَرةً
حنينَ الهمسِ
في دعةٍ
لعلّ بهاً
ترينَ نجومَ مَنْ وُئِدتْ
على أشجارِها الحمراءِ
أغنيةً
وقد بزغتْ
يتوّجُها ضبابُ الحبِ
لكنْ كانَ مقدوري
بأنْ أبقى رديفَ اليأسِ
أبحثُ عنكِ في لهفٍ
جميعَ الأرضِ..
كلّ الأرضِ.
من أنتِ؟!

متابعات

السفر والخيال الروائي

طنجة (المغرب) ـ بمدينة طنجة، وعلى مدى يومي خامس عشر وسادس عشر فبراير/شباط 2013، كان الموعد مع الندوة التي هيأ وأشرف عليها منتدى الفكر والثقافة والإبداع ومختبر السرديات تحت عنوان "الروائي والرحلة" انطلاقا من سؤال مركزي ألا وهو: كيف يكتب الروائي نصه الرحلي؟

في الجلسة الأولى والتي ترأسها خليل الدامون، تدخل شعيب حليفي بورقة عن "الرحلة بوصفها نصا ثقافيا" دارسا ومُقاربا بعض النصوص التأسيسية لهيكل والدوعاجي والعجيلي وغلاب. فيما ذهب عبدالحميد عقار في ورقته حول رحلة حسونة المصباحي "التيه، رحلات إلى مدن من الشرق والغرب" إلى أنها نص خاص مركب بمدى روائي لافت ينصهر بمحكي الأسفار والسيرذاتي، بذلك الشغف في التقاط الأصوات والتيه والتماثلات.

أما شرف الدين ماجدولين فتحدث في مداخلته الموسومة بـ "السفر والتخييل والمقايسة الهجائية" في رحلة سبع سماوات لسعد القرش مركزا على لعبة المقايسة بين الهنا والهناك عبر السفر إلى الداخل العميق بلغة شفافة ضخ من خلالها الكاتب من حسه ومعارفه ما جعل رحلته ترتقي على النثر الروائي.

وحول رحلة علي بدر "خرائط منتصف الليل" قدم عبدالفتاح الحجمري ورقته "شمس رائعة تنزل على الماء"، ممهدا لها بعدد من الاسئلة النظرية حول فن الرحلة قبل أن ينتقل إلى تفكيك رحيلات علي بدر والتي كانت تبحث وتكتب عن الأمكنة والشعراء والأحداث المألوفة، متوقفا عند رحيلة الكاتب إلى إيران وعمقها الأدبي والفكري والفني.

في حين كانت ورقة صادق السلمي (اليمن) حول "التخييلي والرحلي في الرحلة الروائية للكاتب اليمني عبدالله باوزير (أيام في بومبي) وهي رحلة علاجية إلى الهند، قارب فيها الباحث العتبات النصية ثم التخييل والواقع وتعالقهما من خلال المكان والأحداث.

واختتمت هذه الجلسة بورقة قدمها محمود عبدالغني، بعنوان "الرحلة والإنبهار المعكوس في "النخيل والقرميد" ليوسف المحيميد، معتبرا أن السفر شكل من أشكال المعرفة والإبداع، أما رحلة يوسف المحيميد فقرأها من ثلاث زوايا: الذاكرة التي تكتب الرحلة؛ والطفولة في حضورها المحرك للتذكر؛ ثم الإنتقاء في سرد الأحداث والوقائع.

وفي جلسة اليوم الثاني والتي ترأسها أحمد فرج الروماني فقد افتتحت بتدخل يحيى بن الوليد بقراءة في رحلة الكاتبة المغربية ليلى أبو زيد "بضع سنبلات خضر" (1979)، باحثا في مضامين النظرة المتضمنة في النص، وطبيعة اللغة الشفافة والهادئة التي تعتمدها الكاتبة في التقاط ما يمكن عدّه بمثابة "نبض لندن".

وفي سياق الوصل ما بين "النصية" و"التاريخية" بحث في ما يضمن للنص حضوره داخل "أدب الرحلة". وتلاه محمد المسعودي بورقة عن رحلة للروائي المصري خيري شلبي "فلاح مصري في بلاد الفرنج"، اشتغل فيها على التقنيات الجديدة والسخرية وضمير الكتابة والشخصيات الثلاث (حامل القلم والفلاح والذي يري) والتي هي شخصية واحدة يتخذها الكاتب / الرحالة قناعا للقول والإمتاع.

وجاءت ورقة ناصر ليديم بعنوان "نفس السرد، حينما يقبض الروائي على الرحالة" في رحلة أحمد المديني "رحلتي إلى البرازيل"، توقف فيها عند الأثر المجهول الذي تقتفيه الرحلة والحقائق التي تستنطقها في فضاء متعدد الأبعاد متسلحا بوعي فكري وإيديولوجي مسبق ومحددات ومرجعية يستمد شرعيتها من الممكن والمحتمل.

أما ورقة إبراهيم أزوغ حول رحلة إبراهيم عبد المجيد "الى أين تذهب طيور المحيط" فقد نظر إليها باعتبارها أفقا آخر للإبداع الروائي من خلال السفر إلى أماكن موسكو وأوروبا والمغرب وحضور التداخلات النصية والمكون التاريخي والسيرذاتي. فيما ذهبت الورقة الأخيرة من هذه الجلسة لأحمد بلاطي إلى البحث في تداخل التسجيلي والتخييلي في رحلة "مدينة الغرباء مطالع نيويوركية" لجمال الغيطاني مقاربة السمات النصية وإشراطات إنجازها والتيمات المعالجة وأخيرا الأسئلة التي ظلت عالقة بلا إجابة في هذه الرحلة.

أما مداخلة محمد بوعزة فقد تناول فيها "كتاب الأيام" للروائي شعيب حليفي بصفته نصا إشكاليا وتراوحه بين ميثاق الرحلة وغواية التخييل السردي باعتباره نصا يتشكل على الحدود الشائكة بين الرحلة والرواية، لأن ما يشكل ديناميته الداخلية هو ما أسماه الباحث بالخيال المترحل، وليس النسق المغلق. وقد ركز محمد بوعزة على كيفية تمثيل النص للمكونات الرحلية وفق الإستراتجية السردية والرؤيوية التي يقترحها النص القائمة على ترحيل المكونات النصية من سياق التاريخ والمرجعي إلى سياق التخييل، عبر الخوض في العمليات السردية البنائية والرمزية.

وبخصوص رحلة أمجد ناصر "رحلة في بلاد ماركيز" تحدث خالد أقلعي بتفصيل عن السمات والخصائص الفنية المائزة لهذه الرحلة مبينا العنصر الروائي فيها واللغة الشاعرية التي شكلت عمادا رئيسا في نقل تجربة أمجد ومقارناته بين ما عاشه وبين ما يحياه.

وذهب محمد البغوري في مداخلته عن رحلة خليل النعيمي (قراءة العالم، رحلات في كوبا، ريو دي خانيرو، مال، لشبونة، والهند الوسطى) إلى تقديم قراءة من منظورين واقعي ومتخيل وكيف تمكن النعيمي من إبداع نص رحلي بنَفس روائي متجدد.

وقدم بوشعيب الساوري ورقة في موضوع "الرحلة المفارقة في الهندوس يصعدون إلى السماء" للروائي والقاص العراقي وارد بدر السالم، مبرزا كيفية حضور الروائي في بناء هذا العمل الرحلي، وكيف يسهم في إخراج هذا النص الرحلي عن نمط الكتابة الرحلية. وذلك من خلال تمظهر نصي جعل هذا النص ينطبع بحس روائي، وهو المفارقة التي تُعد حقلاً للتنافر والتوتر نظراً لكون هذا الأخير يعد أحد الشروط المتحكمة في الرواية ومن المكونات الجوهرية التي ينبني عليها جنس الرواية، وهو علامة فارقة في إنتاجه. وهذا ما يحصل في رحلة الهندوس يصعدون إلى السماء، التي تعبر في كثير من المواقف عن تنافر انتقادي.

وحول "مغامرة السرد وسرد المغامرة قراءة في "مفاكهة الخلان في رحلة اليابان" ليوسف القعيد، جاءت ورقة مصطفى الغرافي مستجلية العناصر البانية لدينامية السرد والتسريد ومظاهر التداخل والتلاقح بين الواقعي المرجعي والتخييلي الروائي فيما يمكن الاصطلاح عليه بـ "مغامرة السرد وسرد المغامرة". ذلك أن انبناء محكي السفر كما تجسد قصة وخطابا في نص "المفاكهة" يخضع لعملية تحويل وتحوير مستمرة تنتقل بموجبها وقائع الرحلة من نص فعلي مرئي إلى نص لغوي تخييلي يستقطب مختلف وسائل التمثيل السردي من أجل تشييد واقع "محتمل" يتأسس انطلاقا من معطيات واقع فعلي حقيقي.

أما ورقة عبدالمنعم الشنتوف (تمثيلات الرحلة في "خلوة الغلبان") لإبراهيم أصلان، بحثت عن التخييلي والواقعي، بالتركيز على تشكل البورتريهات التي حفل بها النص بالإضافة إلى الاستثنائي والمدهش والمثير للسؤال فيما يسم الشخصيات في الرحلة والموزعة بين الصحفي والناقد والشاعر والروائي وبين ابن الحارة البسيط وموظفة الاستقبال الفرنسية ذات الأصول المغربية والمغترب المصري اليهودي والمواطنة الفرنسية البسيطة.

وقاربت الورقة الأخيرة لميلود الهرمودي قاربت رحلة الجزائري رابح خدوسي (انطباعات عائد من مدن الجمال) اهتمت بالتعالق بين التخييلي والواقعي، وآليات حضورهما من خلال حدود التقاطع بين الثلاثي: المؤلف (الرحالة) / السارد / الروائي، وكيف يتم تقمص الأدوار داخل الرحلة في تفاعلها مع أجناس سردية كالرواية، وإلى ذلك الحضور الخصب لخطابات موازية كالشعر والتاريخ والجغرافية والتراجم.. هذا، مع تتبع خطابات المتخيل عبر قنوات التحويل المجسدة في اللغة من الرحلة باعتبارها فعلا إلى الرحلة كإنجاز (التقييد)، مع ملامسة بنية الفضاء والزمن ارتباطا بمرجعيتهما الواقعية أو المتخيلة.

واختتمت الندوة بنقاش عام مع توصيتين: الأولى بعقد الجزءين الثاني والثالث من هذه الندوة، بالدار البيضاء والشاون، حول الرحلة العربية المعاصرة كما كتبها الشعراء والمفكرون والصحفيون. أما التوصية الثانية وهي أن مختبر السرديات سينشر أشغال الندوة في كتاب محكم.